(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ} [هود:٥٠-٦٠]

الشيخ: أحسنت

يقول تعالى: {وَإِلَى عَادٍ} يعني وأرسلنا إلى عاد {أَخَاهُمْ هُودًا} فسمَّاه أخاهم وإن كانوا كفار وهو نبي من أنبياء الله، لكن هذه أخوة نسب لأنه منهم، فلا حجَّة في الآية لمن يؤاخي بين المسلم والكافر، {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هذه مفتاح دعوة الرسل وهذا هو الغاية من إرسال الرسل، الغاية دعوة الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، فهذه دعوة {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} وهنا يقول: أن {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} بهذا الشرك، أنتم مفترون على الله كاذبون حين تجعلون له شركاء تؤلِّهون معه بعض مخلوقاته {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ}، {يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} وهذا من جنس قول نوح: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [هود:٢٩]، {إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} وهكذا الرسل جميعاً يأمرون أممهم بالتوبة والاستغفار، التوبة من الشرك والمعاصي ويوجِّهونهم إلى طلب الموعظة من الله {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} فردَّ عليه قومه ردًّا قبيحًا منكرًا، {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}

ثلاث كلمات، {مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}، يعني عناد واستكبار.

{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا} فقابل هذ العناد وهذا التكذيب، قابله بإعلان التوكل على الله وأنه ربه الذي يحميه ويعصمه من كيد الكاذبين المفترين {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الله حكيم في أقداره وفي شرعه {فَإِنْ تَوَلَّوْا} يعني إن تولى، يقول: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} يعني يخاطبهم يقول: {فَإِنْ تَوَلَّوْا}، {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} إلى آخر القصة. نعم اقرأ يا مُحَمَّد.

(تفسير السعدي)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله تعالى– في تفسير قول الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}. إلى آخر القصة أي: {وَ} أرسلنا {إِلَى عَادٍ} وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن، {أَخَاهُمْ} في النسب {هُودًا} ليتمكَّنوا

الشيخ: وهذه الأحقاف مذكورة في القرآن: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} [الأحقاف:٢١]

القارئ: ليتمكَّنوا من الأخذ عنه والعلم بصدقه. ف {قَالَ} لهم {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ} أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عمَّا هم عليه، من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجويزهم لذلك، ووضَّح لهم وجوب عبادة الله

الشيخ: أيش؟

القارئ: ووضَّح لهم

الشيخ: نعم

القارئ: وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه.

ثم ذكر عدم المانع لهم من الانقياد فقال {يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} أي: غرامة من أموالكم، على ما دعوتكم إليه، فتقولوا: هذا يريد أن يأخذ أموالنا، وإنما أدعوكم وأعلمكم مجانًا.

{إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ} ما أدعوكم إليه، وأنه موجب لقبوله، منتفٍ المانع عن رده.

{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} عمَّا مضى منكم {ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى.

فإنكم إذا فعلتم ذلك {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها.

{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت:١٥]؟ فوعدهم أنهم إن آمنوا، زادهم قوة إلى قوتهم.

{وَلا تَتَوَلَّوْا} عنه، أي: عن ربكم {مُجْرِمِينَ} أي: مستكبرين عن عبادته، متجرِّئين على محارمه. ف {قَالُوا} رادِّين لقوله: {يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ} إن كان قصدهم بالبينة البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدل على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنه لم يأتِهم ببيِّنة، تشهد لما قاله بالصحة، فقد كذبوا في ذلك، فإنه ما جاء نبي لقومه، إلا وبعث الله على يديه، من الآيات ما يؤمن على مثله البشر.

ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إياهم لإخلاص الدين لله، وحده لا شريك له، والأمر بكل عمل صالح، وخلق جميل، والنهي عن كل خلق ذميم من الشرك بالله، والفواحش، والظلم، وأنواع المنكرات

الشيخ: آمنت بالله

القارئ: مع ما هو مشتمل عليه هود، عليه السلام، من الصفات، التي لا تكون إلا لخيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة، على صدقه. بل أهل العقول، وأولو الألباب، يرون أن هذه

الشيخ: يعني سيرة سيرة الأنبياء، سيرة الأنبياء تدل على صدقهم، سيرتهم في أول أمرهم وبعد دعوتهم، ونفس ما جاء به هو آية على صدق من جاء به، يدعون إلى ماذا؟ يدعون إلى عبادة رب السموات والأرض، خالق الخلق، خالق الناس، وهذا هو موجب الفطرة والعقل لا عبادة أموات أو جمادات أو غائبين فالعاقل المنصف يدرك أن هذا هو الحق، سبحان الله! {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [النحل:١٧]، يدعوهم إلى ماذا

يدعوهم إلى عبادة فاطرهم، فاطرهم الذي خلقهم وخلق من قبلهم وخلق هذا الوجود فسيرته آية وما جاء به آية، كلاهما يدل على صدقهم

القارئ: أحسن الله إليك. **بل أهل العقول، وأولو الألباب، يرون أن هذه الآية، أكبر من مجرد الخوارق، التي يراها بعض الناس، هي المعجزات فقط. ومن آياته، وبيّناته الدالة على صدقه، أنه شخص واحد، ليس له أنصار ولا أعوان، وهو يصرخ في قومه، ويناديهم، ويعجزهم، ويقول لهم: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ}، {إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ} وهم الأعداء الذين لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور، بأي طريق كان، وهو غير مكترث منهم، ولا مبالٍ بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.**

وقولهم: {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ} أي: لا نترك عبادة آلهتنا لمجرد قولك، الذي ما أقمت عليه بيّنة بزعمهم، {وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} وهذا تأييس منهم لنبيهم هود –عليه السلام–، في إيمانهم، وأنهم لا يزالون في كفرهم يعمهون.

الشيخ: يعني إصرار، هذا هو الإصرار، الإصرار على الكفر والتكذيب، يعني {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}، {وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} تيئيس يعني يقول أنه خلاص، لا تفكر كما يقولون، لا تفكر أننا نستجيب أو نطيعك أو نؤمن أو نترك ما نعبده من دون الله، وهذا يتضمن الكبر، فالكبر هو ردُّ الحق فهم قد، قد تخلَّقوا بالكبر، وهم، هم أمَّة عاتية مستكبرة {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}

القارئ: «{إِنْ نَقُولُ} فيك {إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} أي: أصابتك بخبال وجنون، فصرت تهذي بما لا يُعقل. فسبحان من طبع على قلوب الظالمين، كيف جعلوا أصدق الخلق الذي جاء بأحق الحق، بهذه المرتبة، التي يستحي العاقل من حكايتها عنهم لولا أن الله حكاها عنهم. ولهذا بيَّن هود –عليه الصلاة والسلام– أنه واثق غاية الوثوق، أنه لا يصيبه منهم، ولا من آلهتهم أذى، فقال: {إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا} أي اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكَّنون بها مني {ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ} أي لا تمهلوني.

{إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ} أي اعتمدت في أمري كله على الله

الشيخ: كل الأنبياء هكذا، كلهم نوح -عليه السلام- قال لهم مثل ذلك كما تقدم في سورة يونس {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ} ثم كيدوني {لَا تُنْظِرُونِ} [يونس:٧١]

القارئ: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ} أي اعتمدت في أمري كله على الله {رَبِّي وَرَبِّكُمْ} أي هو خالق الجميع ومدبّرنا وإياكم وهو الذي ربَّانا.

{مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} فلا تتحرَّك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعًا على الإيقاع بي والله لم يسلِّطكم علي لم تقدروا على ذلك فإن سلَّطكم فلحكمة أرادها.

ف {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أي على عدل وقسط وحكمة وحمد في قضائه وقدره في شرعه وأمره وفي جزائه وثوابه وعقابه لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم التي يُحمد ويُثنى عليه بها

الشيخ: لا إله إلا الله، له الحكمة البالغة، له الحكمة البالغة في أقداره والخلق عاجزون عن الإحاطة بحكمته فعلى المؤمن أن يسلم لله في تدبيره وشرعه

القارئ: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} عما دعوتكم إليه {فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ} فلم يبقَ عليَّ تبعة من شأنكم {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} يقومون بعبادته ولا يشركون به شيئًا {وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا} فإن ضرركم إنما يعود عليكم فالله لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}، {إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}.

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا}

الشيخ: إلى هنا، نعم.